

أضواء البيان

@ 341 البقرة في قوله { كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ
قَوْلِهِمْ تَشَابِهَتْ قُلُوبُهُمْ } فهذه الآيات تدل على أن سبب تشابه مقالاتهم لرسولهم
، هو تشابه قلوبهم في الكفر والطغيان ، وكرهية الحق وقوله : { وَأَكْثَرُهُمْ
لِلْإِخْتِقَانِ كَارِهُونَ } ذكر نحو معناه في قوله تعالى : { لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ
وَلَا كِنِّ أَكْثَرَكُمْ لِلْإِخْتِقَانِ كَارِهُونَ } وقوله تعالى : { وَإِذَا تُلِيَتْ
عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الْمُنْكَرَ } ، وذلك المنكر الذي تعرفه في وجوههم ، إنما هو لشدة كراهيتهم للحق ، ومن
الآيات الموضحة لكراهيتهم للحق . أنهم يمتنعون من سماعه ، ويستعملون الوسائل التي
تمنعهم من أن يسمعه ، كمال قال تعالى في قصة أول الرسل الذين أرسلهم بتوحيده والنهي
عن الإشراك به ، وهو نوح : { وَإِنِّي كُنتَ لَمَّا دَعَاوَهُمْ لِيَتَّخِفُوا لِيهِمْ
جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِئَاطًا لِّأَنَّهُمْ وَاسْتَشْوَوا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا
وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا } وإنما جعلوا أصابعهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم
خوف أن يسمعوا ما يقوله لهم نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، من الحق ،
والدعوة إليه . وقال تعالى في أمة آخر الأنبياء صلى الله عليه وسلم { وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ } . فترى بعضهم
ينهى بعضاً عن سماعه ، ويأمرهم باللغو فيه ، كالصياح والتصفيق المانع من السماع
لكراهتهم للحق ، ومحاولتهم أن يغلبوا الحق بالباطل . .
وهذه الآية الكريمة سؤال معروف وهو أن يقال : قوله : { وَأَكْثَرُهُمْ لِلْإِخْتِقَانِ
كَارِهُونَ } يفهم من مفهوم مخالفته ، أن قليلاً من الكفار ، ليسوا كارهين للحق . وهذا
السؤال وارد أيضاً على آية الزخرف التي ذكرنا آنفاً ، وهي قوله تعالى : { وَلا كِنِّ
أَكْثَرَكُمْ لِلْإِخْتِقَانِ كَارِهُونَ } . .
والجواب عن هذا السؤال : هو ما أجاب به بعض أهل العلم بأن قليلاً من الكفار . كانوا لا
يكرهون الحق ، وسبب امتناعهم عن الإيمان بالله ورسوله ليس هو كراهيتهم للحق ، ولكن سببه
الأنفة والاستنكاف من توبيخ قومهم ، وأن يقولوا صباوا وفارقوا دين آبائهم ، ومن أمثلة من
وقع له هذا أبو طالب فإنه لا يكره الحق ، الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد
كان يشد عضده في تبليغه رسالته كما قدمنا في شعره في قوله : * اصدع بأمرك ما عليك
غضاضة * .

الأبيات وقال فيها ،